مجلة انساق
للنشر العلمي

مجلة انساق للنشر العلمي

الإصدار الأول
المجلد (١) العدد (١)
٢٠٢٥(١٤ -١)

المَلَكَةُ الحديثية في تبيين المصطلح وتحرير المفهوم

د/ أشرف بن عبد القادر مرادي
(أستاذ التربية الإسلامية بالسلك الثانوي التأهيلي، المغرب)
تاريخ النشر: نُشر إلكترونياً بتاريخ ٢٠ أكتوبر ٢٠٢٥ م

الملخص :
يهدف هذا البحث إلى استجلاء دلالة مصطلح الملكة، وذلك من خلال تتبع النصوص الحديثية واستقرائها في مظانها، بغية الكشف عن دلالتها الصريحة؛ أي النصوص التي وردت فيها دلالة هذا المفهوم تصريحا، وكذا النصوص التي أشارت إلى دلالتها إيماء، أو النصوص التي ذكرت الملكة الحديثية بمستلزماتها ومتجلياتها، وذلك بهدف الكشف عن حقيقتها، وطبيعتها، ومراتبها.

المنهج: اعتمد البحث المنهج الوصفي في رصد وتسجيل المادة العلمية، وتصنيف خصائصها، وترتيبها، وكشف الارتباط بينها، والمنهج التحليلي في تفسير النصوص وتحليلها، وتفكيكها وإعادة بنائها بما يخدم أهداف البحث.

النتائج: خلص البحث إلى أن مفهوم الملكة الحديثية هي مجموع الصفات النفسية والقدرات العقلية، التي تنقل الحديثي من التصور والاكتساب النظري إلى التوظيف والتصرف العملي.

الكلمات المفتاحية :
(الملكة، علوم الحديث، المصطلح، المفهوم)

Abstract:

This research aims to clarify the meaning of the term ‘competencies’ individually and descriptively, by tracing and extrapolating the hadith texts in their sources, in order to reveal their explicit meaning; i.e., the texts in which the meaning of this concept is explicitly mentioned, as well as the texts that refer to its meaning implicitly, or the texts that mention the hadith tradition with its requirements and manifestations, with the aim of revealing its reality, nature, and levels.

Methodology: The research adopted a descriptive approach in monitoring and recording scientific material, classifying its characteristics, arranging it, and revealing the connections between them. It also adopted an analytical approach in interpreting and

analysing texts, deconstructing them and reconstructing them in a way that serves the objectives of the research.

Results: The research concluded that the concept of modern competencies is the sum of psychological traits and mental abilities that transfer the modern person from theoretical perception and acquisition to practical employment and behaviour.

Keywords:

(competencies, hadith sciences, terminology, concept)

المقدمة:

تُعد نظرية الملكات من النظريات الرائدة في الفكر التربوي الإسلامي، حيث أبانت عن السبق الزمني لعلمائنا في التأصيل لجملة من القواعد التي توصل إليه علم النفس التربوي والمعرفي، فكشفت عن الشروط السيكولوجية والعلمية الواجب اعتبارها في التعليم والتعلم، واعتَبرت الأساس التربوي مدخلا وركنا تنخرم ماهية الملكة بانخرامه[١]. يقول ابن خلدون (ت٨٠٨هـ): "على قدر جودة التعليم، وملكة المعلم؛ يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته"[٢].

فجودة التعليم تقاس بجودة المخرجات التي تسعى كل منظومة تربوية إلى تحقيقها في نهاية سنة دراسية، أو سلك من الأسلاك. ومؤشر قياس جودة التعليم مرتبط بالأصالة في العلوم الشرعية بحصول الملكة لدى الطالب، وقدرته على وصل ما تحمله في سنوات الطلب بمجتمعه؛ من خلال الإجابة عن الإشكالات التي تحول دون صحة الامتثال والتعبد، والقدرة على دفع الشبهات المثارة حول كتب السنة؛ لكن مدار هذه المخرجات كلها متوقف على حصول الملكة، فمن استولى عليها، فقد تأهل لحوز شرف تبليغ وتدريس ما حصله من علم.

موضوع البحث:

وهذا البحث دراسة تأصيلية لمصطلح الملكة عند المحدثين، من حيث أصلها اللغوي، ومخرجها الدلالي، وذلك أن الدراسة المصطلحية من أوجب الواجبات على الباحث، في أي فن من فنون التراث؛ لأنها الخطوة الأولى للفهم السليم، الذي يتأسس عليه التقويم السليم، والتأريخ السليم. من أجل ذلك كانت دراسة المصطلحات الموظفة في علوم الحديث من أهم القضايا التي ينبغي أن ينصرف إليها جهد الباحثين في الدرس الحديثي؛ تدريبا للطلبة على النظر في كيفية نشوء وتشكل المفاهيم، بدل الاقتصار على مجرد الوصف الذي لا يكشف عن "المعاني اللطيفة الحية، وفهم السياقات الموجهة، والمشكلات العالقة، والبحث عن قواعد المنهج قبل السؤال الجامد عن المخرج، والتحري في النقل"[٣]، وغير ذلك مما يكشف عنه تاريخ العلوم من سمات.

---

[١]- ينظر: الدريج، محمد، التدريس بالملكات نحو تأسيس نموذج تربوي أصيل بالمغرب، مجلة كلية علوم التربية، العدد: ٥، (ص: ٤٦-٤٧)، سنة: ٢٠١٣.

[٢]- ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، اعتنى به: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط: ١، سنة: ٢٠١٢، (ص: ٤١٤).

[٣]- مركز ابن البناء المراكشي للبحوث والدراسات، افتتاحية مجلة الدليل، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، العدد: ١، (ص: ٦)، سنة: ١٤٣٤هـ.

مشكلة الدراسة:

والغرض من البحث الإجابة عن الإشكال الآتي: ما مفهوم الملكة؟ وما دلالة استعمالها في الاصطلاح العام والخاص؟ وما الفرق بينـها وبيـن المصطلحات المشابهة لها والقريبة منـها؟ وكيف يمكن تعريف مصطلح الملكة الحديثية اعتمادا على منهج الدراسة المصطلحية؟

أهداف البحث:

أ- الوقوف على الدلالة اللغوية للملَكة، وما تفرع عنه من مصطلحات ذات الصلة به.

ب- الوقوف على المعاني الاصطلاحية لمفهوم الملَكة مفردا أو مجموعا، مضموما إلى غيـره أو مضموما إليه غيـره.

ج- تعريف مصطلح الملكة الحديثية اعتمادا على منهج الدراسة المصطلحية تحريرا لمفهومه وتبينا لحقله الدلالي.

منهج البحث:

أما المنهج المتبع في الدراسة فهو المنهج الوصفي الذي يروم رصد وتسـجيل المادة العلمية كما هي، وتصنيف خصائصها، وترتيبـها ترتيبا منطقيا منظما، وكشف الارتباط بينـها. مع الاستعانة بالمنهج التحليلي في الدراسة المفهومية الدلالية؛ حيث اعتمد في تفسير النصوص وتحليلها، وتفكيكها وإعادة بنائـها بما يخدم أهداف البحث، مع تسليط أدوات النقد والنقض على بعض الممارسات التدريسية، والتـي تبيـن بالدراسات المعاصرة أنـها تحتاج إلى تعديل وإصلاح.

معتمدا في ذلك خطوات إجرائية لا تخرج في مجملها عن المنهج المطبق في الدراسة المصطلحية، رسمها التالي:

أولا: الدراسة المعجمية؛ أي: دراسة معنـى مصطلح الملكة بالرجوع إلى المعاجم اللغوية، وبالرجوع إلى الكتب المختصة في الاصطلاح العام، وفي مصطلح علوم الحديث.

ثانيا: الدراسة النصية؛ ويقصد بـها دراسة مصطلح الملكة الحديثية بـهدف تعريفه واستخلاص كل ما يتعلق به من خصائص وصفات، ثم دراسته ضمن أُسرته المفهومية المؤالفة والمخالفة، والاستنباط الدقيق الصـحيح لكل ما يمكن استنباطه مما يتعلق بالمصطلح في كل مثال.

ثالثا: الدراسة المفهومية؛ ويقصد بـها دراسة النتائج التـي فُهِمَت واستُخلِصَت من المسائل التـي ورد فيـها مصطلـح الملكة الحديثية وما يتصل به، وتصنيفها تصنيفا مفهوميا يُجلي خلاصة التصوّر المستفاد لمفهوم مصطلـح الملكة الحديثية.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة:

- المقدمة، وفيها: موضوع البحث، وإشكاله، وأهدافه، ومنهجه، وخطواته الإجرائية، وخطته.
- المبحث الأول: مفهوم الملكة في اللغة.
- المبحث الثاني: مفهوم الملكة في الاصطلاح العام.
- المبحث الثالث: ما بين دلالتي الصناعة والملكة من افتـراق وتعالق.
- المبحث الرابع: مفهوم الملكة الحديثية خلاصات وفوائد.
- الخاتمة، وتتضمن أهم الخلاصات والنتائج.

المبحث الأول: مفهوم الملكة في اللغة.

ترجع الملكة في اللغة إلى الجذر اللغوي (م.ل.ك)، وهو يدور على معنيين:

* المعنى الأول: **إحكام الشيء وإجادته، وإتقانه، إلى أن تصير لصاحبه قوة التصرف فيه.**

- قال الفراء (ت٢٠٧هـ): "يقال: عجنت المرأة فأملكت، إذا بلغت ملاكته، وأجادت عجنه؛ حتى يأخذ بعضه بعضا"[٤].

- وقال الجوهري (ت393هـ): "ملكت العجين أملكه ملكا بالفتح، إذا شددت عجنه"[٥].

- وقال ابن فارس (ت395هـ): "الميم، واللام، والكاف، أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة"[٦].

يمكن أن نستخلص من التعريفات السابقة جملة من المعاني التي لها صلة بالملكة.

أولا: إن التعريفات التي سبق إيرادها، نحت منحيين في الكشف عن معنى الملكة، الأول: معنى حسي، مع الفراء، ومع الجوهري، ولا ريب أن سلوك هذا المنهج في التعريف، يراد به التقريب وحصول الفهم. والثاني: معنى مجازي، وهذا المعنى ورد عند ابن فارس.

ثانيا: إجادة الشيء، وهي متوقفة على جملة من العمليات من أهمها التكرار، وهذا من لوازم المعاني المفهومة من تعريف الجوهري، وابن منظور؛ لأن العجين في أصله لا يكون متمالكا، ولا يأخذ بعضه ببعض إلا بقوة خارجية تمارس هذه العملية، ثم بتكرار الأمر مرات متعددة.

ثالثا: الإجادة، والإحكام، والشد، وهي لا تحصل دفعة واحدة؛ بل إنها حاصلة عن التدرج؛ لأن تكرار عملية العجن التي يحصل بها الشد والإحكام، يُنتقل إليها بالتدرج من مرحلة إلى أخرى.

رابعا: يفهم مما سبق من المعاني اللغوية، أن المخرج النهائي للملكة، يتسم بالترابط والجمع الذي يعسر فصله، وهذا من المعاني المهمة التي نستفيد منها في البناء الاصطلاحي للملكة الحديثية؛ إذ إن الممارسة النقدية، لا تتم بتملك الطالب لعلم واحد من علوم الحديث؛ بل لابد أن يحصل الضروري من كل واحد منها بما يكون عونا له على تصحيح الأحاديث وتضعيفها. وهذا المعنى المستنبط للملكة، مأخوذ من تعريف الفراء، عندما قال: "عجنت المرأة فأملكت إذا بلغت ملاكته، وأجادت عجنه حتى يأخذ بعضه بعضا"[٧]؛ فالعجين في أصله لا يكون متماسكا إلا بعد تكرار، وتدرج، وقوة تجعله كذلك.

خامسا: من بين أهم المعاني المستنبطة من التعريفات السابقة، أثر الزمن في تمالك العجين، وهذا المعنى وإن لم يكن مصرحا به؛ إلا أنه من لوازم حصول إحكام العجين، وإجادته، وشده؛ حتى يتمالك ويتماسك. فقولهم: "عجنت المرأة فأملكت، إذا بلغت ملاكته، وأجادت عجنه؛ حتى يأخذ بعضه بعضا"؛ وجاءت (حتى) هنا حرفا لانتهاء الغاية؛ أي: لا تزال هذه المرأة متلبسة بعملية العجن؛ حتى يتمالك ويأخذ بعضه بعضا. ولا ريب أن هذا الأمر لا يحصل دفعة واحدة؛ بل يحتاج إلى زمن يصل فيه العجين إلى هذا المستوى من الشد والإحكام. وهذا الزمن الذي يحصل فيه هذا الأمر، ليس نمطيا؛ بل يختلف باختلاف النسوة اللائي يمارسن عملية العجن، فهذه الفروق المرتبطة بالزمن الذي ينتج عنه الإحكام للعجين وشده، معتبرة.

---

[٤]- الأزهري، محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١، سنة: ٢٠٠١، (١٥٠/١٠).

[٥]- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ٤، سنة: ١٩٨٧، (١٦٠٩/٤).

[٦]- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، دار الفكر، بيروت، ط: ٢، سنة: ١٩٧٩، (٣٥١/٥-٣٥٢).

[٧]- الأزهري، تهذيب اللغة، (١٥٠/١٠).

وهذا المعنى مما نفيد منه في البناء لمفهوم الملكة اصطلاحا، التي تحتاج إلى ممارسة تدوم زمنا يختلف باختلاف الفروق الفردية، والقدرات العقلية للطلبة.

كما أن حرف حتى في قولهم: "حتى يأخذ بعضه بعضا"، نستفيد منه التعليل؛ أي: إن قيام المرأة بعملية العجن، مقصده وغايته حصول الإحكام، وبلوغ منـزلة الإجادة والإتقان. وهذا أيضا من المعاني المهمة التي تعين على التأسيس لمفهوم الملكة اصطلاحا؛ بمعنى أن الطالب ينبغي أن يوطد أكناف عزم نفسه على البلوغ إلى مقصد الإتقان والإجادة التي تصيـره مرجعا في علمه، ومصدرا معتمدا عليه فيه.

سادسا: مَنْ أحكم شيئا، وأجاده، وأتقنه، صار مرجعا فيه، وصار معتمَدا عليه فيه.

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ): "وملاك الأمر: ما يعتمد عليه"[٨].

فهذه المعاني اللغوية دائرة على: الإحكام، والإتقان، والإجادة، والشد؛ حتى تصير لصاحبه قوة.

* المعنى الثاني: **حوز الشيء، وضمه، والاستبداد به حتى يصير خالصا لصاحبه.**

ومما يدل عليه الأصل اللغوي للملكة: حوز الشيء وضمه، حتى يصير خالصا لصاحبه لا يشاركه فيه غيـره. فمن ملك شيئا فقد حازه، وانفرد به، وصارت له حرية التصرف فيه. ولذلك لا يقال لمن ضم شيئا، وليست له حرية التصرف فيه قد ملكه.

- قال الراغب الأصبـهاني (ت٥٠٢هـ): "أما المالك: فهو الضابط للشيء المتصرف فيه بالحكم، ومنه ملكت العجين. والوكيل: وإن كان ضابطا للشيء متصرفا فيه، فإنه لا يقال له: مالك لما كانت يده يد غيـره"[٩].

- وقال ابن منظور (ت٧١١هـ): "يقال: هذا ملك يدي، وما لأحد في هذا ملك غيـري"[١٠].

المعنى اللغوي الثاني للملكة يرجع إلى اختصاص التصرف، وانفراد الانتفاع من غير قيد ولا حجر. وهذا من المعاني المهمة؛ لأن الطالب عندما يصل إلى المستويات العليا في الملكة الحديثية، تصيـر له القدرة على خوض غمرة البحث في مصنفات علم الحديث، وعلى ممارسة عملية التصحيح باستقلالية وتفرد.

وإذا ما حاولنا تلمس الخيوط الجامعة بين المعاني السابقة، تبين لنا أن العلاقة بينـها وطيدة؛ لأن من حاز شيئا وتملكه وصارت له في قدرة على التصرف من غير قيد ولا حجر، فقد استولى عليه، وأحكم إعماله إلى درجة يصيـر فيه مرجعا، ومن تأهل لهذه المنـزلة فقد وصل إلى درجة الاستقلالية في التصرف.

فهذا جماع المعاني اللغوية، وسيتبين لنا أن المعنى الاصطلاحي للملكة يستند إلى هذه الأصول اللغوية؛ لأن من فوائد بحث التعاريف اللغوية، معرفة أوجه المناسبة بينها وبين المعاني الاصطلاحية، وهذا متجلى في التعريف الاصطلاحي كما سيأتي.

المبحث الثاني: مفهوم الملكة في الاصطلاح العام.

إن الملكة من المفاهيم الدقيقة التي تدل على بلوغ الغاية من التحقق في العلم والاستيلاء عليه، فهي عند علمائنا مؤشر على نبوغ الطالب، ووصوله إلى مرحلة يصيـر فيـها مقتدرا على استقلالية البحث، وخوض غمرة ما يعرض له من إشكالات العلم، مع القدرة على دفع الاعتـراضات الواردة، والشبه الوافدة، ويُعد ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) من بين العلماء الذين أكثـروا من إيراد مصطلح الملكة، حيث أبان في مقدمته عن حقيقتها، ومنازلها، وبيان المسالك الموصلة

---

[٨]- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، العيـن، تحقيق: مهدي المخزومـي، وإبـراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، سنة: ١٩٨٢، (٣٨٠/٥).

[٩]- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط: ١، سنة: ١٩٩٩، (ص: ٥٦).

[١٠]- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيـروت، ط: ٣، سنة: ١٩٩٣، (٤٩٣/١٠).

إلى اكتسابها، مما يجعل الجامع لهذه النصوص، والمحلل لبنيتها، والمقارن لها بما توصلت إليه نظريات التعلم الحديثية على قناعة كافية بأنها لا تقل أهمية عما توصل إليه علماء التربية المعاصرة؛ بل يرشحها لتكون نظرية من النظريات التربوية، لاكتمال نسقها المفاهيمي، وكشفها عن الصنافة التي يرتقي فيها الطالب في السيرورات العليا للدماغ[١١].

لقد سلك ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) في تعريف الملكة مسالك متنوعة، فتارة يذكر طرق تحصيلها، وتارة المراقي التي تتكون منها، وتارة أخرى يوردها في معرض المقارنة بينها وبين الصناعة، ولذلك أرى من الأهمية أن ننظر إلى هذه النصوص نظرا جمعيا، يجعل مفهوم الملكة واضحا، لا غموض ولا لبس فيه.

قال ابن خلدون (ت٨٠٨هـ): "الملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل، وتكرره مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة"[١٢].

وقد فصل في موضع آخر ما أجمله في هذا التعريف، حيث قال: "الملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال؛ لأن الفعل يقع أولا، وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالا؛ ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة؛ أي: صفة راسخة"[١٣].

ومن المتابعات الشاهدة لما أورده ابن خلدون، تعريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) للملكة بقوله: "هي صفة راسخة في النفس، وتحقيقه أنه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال، ويقال لتلك الهيئة كيفية نفسانية، وتسمى حالة، وتسمى حالة ما دامت سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير ملكة"[١٤].

والصفة هي: المعاني والأمارات الثابتة واللازمة للشيء[١٥]. والمتأمل في التعريفين يجد أن أساس الملكة يقوم على الممارسة والمران، الذي يثمر كيفية نفسانية، وقوة في النفس، وهذه القوة، هي الاستعدادات الكامنة فيها، التي تدفعها للتعلم، وتحفزها على الاستزادة منه، وتصبر صاحبها على مشاق الطلب ولأوائه؛ فالتفاعل النفسي، والارتباط الوجداني الذي يحصله الطالب بعد وصوله المنازل العليا، يصير العلم جزءا منه، مركوزا في طبعه، راسخا في غرائز عقله، متفاعلا معه، موجها فكره، متأثرا بمناهجه، تجعله قادرا على التصرف في العلم. فالصفة، والحال، والهيئة، مراق تعتمل في نفس الطالب، ويأخذ منها في كل مرحلة نصيبا يرقيه إلى المنزلة التي تليها، حتى يصير ذا ملكة راسخة يعسر زوالها، وهذه حقيقة التكرار الذي جعله ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) ركنا في تكوين الملكة، تكرار ينقل الطالب من المستويات الدنيا للمهارات إلى تملك الأعلى منها.

فلا يستطيع الطالب البوح بأسرار العلم، واستنطاق مكنوناته، وتقليب مباحثه وأصوله، وتنزيل قواعده إلا إذا أكثر من ممارسته وتطبيقه، وخالط شغاف قلبه، وصار بضعة منه، فإذا تكلم فيه، تكلم عن بصيرة وحذق وإتقان، يجد السامع له أثرا يطرق قلبه قبل سمعه، ولا يجد السامع هذا الوقع النفسي للعلم على جوارحه إلا إذا كان العلم ممتزجا بعقل الناطق به، مخالطا لروحه؛ إذ "من المعلوم أن المرء إذا تلبس بفن أو علم حتى خالط نفسه، وامتزج بعقله امتزاج الروح بالجسد كان تأثيره على من سواه في ذلك الفن بليغا، إذا كان يدرسه له أو يحدث عنه، أو يفسره له؛ لأن كلماته تكون مشحونة بذلك الفن، فهي إذا تكلم بها تنزلت على القلوب بما فيها، فتؤثر تأثيرا يختلف في قوته وضعفه باختلاف أحوال تلك القلوب، ودرجات استعدادها لتلقي متضمن تلك الكلمات"[١٦].

---

[١١]- ينظر: حليم، سعيد بن محمد، المرجع في كيفية التدريس، مطبعة آنفو-برانت، فاس، ط: ١، سنة: ٢٠٠٩، (ص: ١٨٤).
[١٢]- ابن خلدون، المقدمة، (ص: ٤١٤).
[١٣]- نفس المصدر، (ص: ٦٢٢).
[١٤]- الجرجاني، علي بن محمد الشريف، التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د،ت،ط)، (ص: ١٩٣).
[١٥]- ينظر: النقاري، حمو، معجم مفاهيم علم الكلام المنهجية، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط: ١، سنة: ٢٠١٦، (ص: ٣٤٣-٣٤٤).
[١٦]- السريري، أبو الطيب مولود، تجديد علم أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٢، سنة: ٢٠١٦، (ص: ٥٩).

فلا يصير الطالب إذن ذا ملكة في العلم، إلا إذا حصل له هذا التفاعل النفسي السيكولوجي، تفاعل يقوى بالتكرار الذي ينقله من الصفات القابلة للزوال والتغير إلى الحال، والحال "صفة زائلة، فيقال: تحول فلان عن الشيء بمعنى زال عنه إلى غيره"[١٧]، وكلما كثر التكرار أدى إلى تقوية أواصر هذه العلاقة إلى درجة الإحكام، الذي عبر عنه ابن خلدون بالصفة الراسخة.

كما أن هذا التكرار لا يكون ميكانيكيا، يقوم على إعادة المحفوظ نفسه، ولوك اللسان بعبارات مختصرة لا ترقيه في درج المهارات؛ بل هو تكرار تصاعدي في سلم المنازل العليا الموصلة إلى درجة الاستيلاء على العلم، وصولا إلى مرتبة الملكة ثم الحذق؛ من خلال الفهم، والإحاطة بالمبادئ والقواعد والمسائل، واستنباط الفروع من الأصول؛ عن طريق الاستنتاج، والتحليل والقياس، وغير ذلك من العمليات العقلية، والسيرورات الذهنية العليا.

المبحث الثالث: ما بين دلالتي الصناعة والملكة من افتراق وتعالق.

يرجع مفهوم الصناعة في اللغة إلى الجذر اللغوي (ص.ن.ع):

- قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): "الصاد، والنون، والعين، أصل صحيح واحد، وهو عمل الشيء صنعا. وامرأة صناع ورجل صنع، إذا كانا حاذقين فيما يصنعانه"[١٨].

- وقال ابن دريد (ت٣٢١هـ): "رجل صنع، إذا كان حاذقا بما يعمله"[١٩].

ومن المعاني التي يتضمنها المعنى اللغوي لكلمة الصناعة، إجادة الشي، وإتقانه، وإحكامه.

- قال الجوهري (ت٣٩٣هـ): "امرأة صناع اليدين، أي حاذقة ماهرة"[٢٠].

وشاهد ذلك قول الله تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة النمل، الآية: ٩٠].

و"الصُّنع يطلق على العمل المتقن"[٢١]. والإتقان: هو الإتيان بالشيء على صورته الحقيقة محكما وصوابا[٢٢].

إن المعاني التي ذكرت من قبل في تعريف الملكة، حذت بي إلى التفرقة بين الملكة والصناعة؛ إذ إن الصناعة علم بالقوانين النظرية التي يستطيع الطالب تحصيلها من غير تفاعل نفسي، أو ارتباط سيكولوجي؛ فتجد مثلا متمهرا في علم ما، متمرسا بقواعده، خبيرا بمسائله ومباحثه، مكينا من قوانينه، ولكنه لم يرق بعد إلا أن يصير جزءا منه؛ إذ قد يطلبه على غير شهوة فيه وحب له، بل على قهر وعسف.

فشرط الملكة الأول، وأساسها المكين، هو المدخل النفسي المتمثل في حب العلم وعشقه، والتفاني في سبيل تحصيله، والصبر على لأوائه. ومن خلا عن هذه الصفات، فلا يطمع في التعمير في العلم، بله أن يصير من ذويه وأربابه.

ومن القرائن التي تشهد لصحة هذه الفروق، ما أورده ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) في مقدمته؛ إذ إنه إذا أراد الحديث عن قوانين علم ما، فإنه يربطه بالصناعة؛ لأن تحصيل قوانين العلوم يقوى على دركه كل من طلبه، وإن لم يصل فيه إلى مرتبة الملكة، فالنحو الذي هو: معرفة ما يتغير من أواخر الكلم، لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديرا، تجد من يتقنه إتقانا، ويحفظ فيه الألفيات والمنظومات، ولكنه لم يصل فيه إلى مرتبة يصير فيها الكلام العربي سجية له؛ إذ لم يخالط سويداء قلبه وشغافه، ولم يمتزج بكيانه، ولم يرق به إلى تذوق أساليب العرب ومعهودها في الخطاب، فتجده بارعا في معرفة أن الفاعل مقدم على المفعول، وكذلك المبتدأ مع الخبر، فيحصل هذه القضايا نظريا، ولكنه لم يرق بها إلى أن يكون بيانيا، ولذلك فابن خلدون عندما أراد التفرقة بين النحو، وبين أحوال

---

[١٧]- ينظر: النقاري، معجم مفاهيم علم الكلام المنهجية، (ص: ٢٥٦).
[١٨]- ابن فارس، مقاييس اللغة، (٣١٣/٣).
[١٩]- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ١، سنة: ١٩٨٧، (٨٨٨/٢).
[٢٠]- الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، (١٢٤٦/٣).
[٢١]- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة: ١٩٨٤، (٥١/٢٠).
[٢٢]- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٣، سنة: ١٩٩٩، (٥٧٤/٢٤).

المتخاطبين أو الفاعلين، وهو البلاغة أو الفصاحة، وسم الأول منهما بالصناعة، والثاني بالملكة، حيث قال: "إن الأمور التي يقصد المتكلم بها إفادة السامع من كلامه هي: إما تصور مفردات تستند ويسند إليها، ويفضي بعضها إلى بعض، والدالة على هذه هي المفردات من الأسماء والأفعال والحروف، وإما تمييز المسندات من المسند إليها والأزمنة، ويدل عليها بتغيير الحركات من الإعراب وأبنية الكلمات، وهذه كلها هي صنـــاعة النحـــو"[٢٣].

وقد أورد الفرق بينهما على الأساس الذي ذكرته من قبل، في نص واضح الدلالة على معناه، أورده في الفصل الخمسين من مقدمته "في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها"[٢٤]. وفي هذا الفصل أورد مثالَ من يعرف صناعة من الصناعات علما، ولا يحكمها ملكة؛ إذ لو سئل عن تفاصيلها وحيثياتها أوردها على الكمال والتمام، ولكنه إذ طولب ممارسة ما كان يُنظر إليه حار وأبلس، فقال: "وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها؛ فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل، وليس هو نفس العمل. وكذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة، والمهرة في صناعة العربية، المحيطين علما بتلك القوانين، إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذي مودته أو شكوى ظلامة أو قصد من قصوده، أخطأ فيها عن الصواب، وأكثر من اللحن، ولم يجد تأليف الكلام لذلك، والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربي. وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة، ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور، وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور، ولا شيئا من قوانين صناعة العربية، فمن هنا يعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية"[٢٥].

وبهذا النص يزول كل لبس؛ فقد فرق فيه ابن خلدون بين القوانين النظرية لعلم النحو، والتي عبر عنها بالصناعة، وبين تذوق الكلام العربي، والإحاطة بمدلولات العرب ومعهودها في الخطاب، فيصير ذا ملكة مستقيمة على رسم العربي القديم، وبهذا يتبين أن من يحصل القوانين بعيدة عن تذوق الكلام العربي الفصيح، إنما "يحصل على علم اللسان صناعة، ولا يحصل عليه ملكة"[٢٦].

غير أني أنبه هنا على أمر مهم، وهو أن هذه التفرقة تنصرف إذا اجتمعت الصناعة مع الملكة، أما عند افتراقهما، فإنهما يصيران بمعنى واحد، ولذلك نجد المحدثين يعبرون تارة بالملكة، وتارة بالصناعة، وأحيانا يجمعون بينهما. وسيأتي هذا مبينا في تعريف الملكة الحديثية.

المبحث الرابع: مفهوم الملكة الحديثية خلاصات وفوائد.

إن تعريف الملكة الحديثية يقتضي بدءا استدعاء النصوص والشواهد التي ورد بها المصطلح المعرف؛ إما تصريحا أو تضمنا؛ حتى يكون التعريف مستجمعا لشروطه، ومحكما ومنضبطا لأصول العلم، مع لزوم التأمل وإعادة النظر في قيوده، فما حقه أن يقدم قدم، وما حقه أن يؤخر ينبغي أن يؤخر، وألا تكون هناك مرادفات كثيرة تنزه عنها التعاريف؛ فالانضباط إلى هذه المسالك يضفي صفة العلمية على تعريف المصطلح، على خلاف من يسرح الذهن إلى بقعة الإمكانات الذهنية، فيصوغ تعريفا بعيدا عن النصوص التي تشهد لصحة تعريفه.

أولا: نصوص ورد فيها مصطلح الملكة عند المحدثين.

- قال ابن دقيق العيد (ت٧٠٢هـ): "أهل الحديث كثيرا ما يحكمون بذلك باعتبار أمور ترجع إلى المروي وألفاظ الحديث. وحاصله يرجع إلى أنه حصلت لهم لكثرة مزاولة ألفاظ الرسول هيئة نفسانية، أو **ملكة** يعرفون بها ما يجوز أن يكون من ألفاظ النبي γ، وما لا يجوز أن يكون من ألفاظه"[٢٧].

---

[٢٣]- ابن خلدون، المقدمة، (ص: ٦١٨).
[٢٤]- نفس المصدر، (ص: ٦٢٨).
[٢٥]- نفس المصدر، (ص: ٦٢٨-٦٢٩).
[٢٦]- نفس المصدر، (ص: ٦٢٩).
[٢٧]- ابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي، الاقتراح في بيان الاصطلاح، تحقيق: قحطان الدوري، دار العلوم، عمان، ط: ١، سنة: ٢٠٠٧، (ص: ٣١١-٣١٢).

- وسئل ابن قيم (ت٧٥١هـ) عن إمكانية معرفة الحديث الموضوع بضابط، من غير أن ينظر في سنده، فقال: "هذا سؤال عظيم القدر، وإنما يعلم ذلك من تضلع من معرفة السنن الصحيحة، وخلطت بدمه ولحمه، وصار له فيها **ملكة**، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار، ومعرفة سيرة رسول الله γ وهديه فيما يأمر به وينهى عنه، ويخبر عنه ويدعو إليه، ويحبه ويكرهه، ويشرعه للأمة بحيث كأنه مخالط للرسول γ بين أصحابه"[٢٨].

- ويقول العلائي (ت٧٦١هـ): "إن المأخذ الذي يحكم به غالبا على الحديث بأنه موضوع إنما هي **الملكة** النفسانية الناشئة عن جمع الطرق، والاطلاع على غالب المروي في البلدان المتنائية، بحيث يعرف بذلك ما هو من حديث الرواة مما ليس من حديثهم، وأما من لم يصل إلى هذه المرتبة فكيف يقضي بعدم وجدانه للحديث بأنه موضوع، هذا ما يأباه تصرفهم"[٢٩].

- وقال الزركشي (ت٧٩٤هـ) بعد سوقه للطرق التي يعرف بها الموضوع: "اعلم أنه قد استعمل أئمة الحديث هذه الطريقة، ولهم في معرفة ذلك **ملكة** يعرفون بها الموضوع، وشاهده أن إنسانا لو خدم ملكا سنينا وعرف ما يحب وما يكره، فجاء إنسان ادعى أنه كان يكره شيئا يعلم ذلك أنه يحبه، فبمجرد سماعه يبادر إلى تكذيب من قال: إنه يكرهه"[٣٠].

- وقال ابن رجب (ت٧٩٥هـ) في بيان دقة الحديث المعل: "لا بد في هذا العلم من طول الممارسة، وكثرة المذاكرة، فإذا عدم المذاكرة به؛ فليكثر طالبه المطالعة في كلام الأئمة العارفين؛ كيحيى القطان، ومن تلقى عنه؛ كأحمد، وابن المديني، وغيرهما، فمن رزق مطالعة ذلك، وفهمه، وفقهت نفسه فيه، وصارت له فيه قوة في نفس **وملكة**؛ صلح له أن يتكلم فيه"[٣١].

- وقال ابن حجر (ت٨٥٢هـ): "الحكم على الحديث بالوضع إنما هو بطريق الظن الغالب لا بالقطع؛ إذ قد يصدق الكذوب، لكن لأهل العلم بالحديث **ملكة** قوية يميزون بها ذلك، وإنما يقوم بذلك منهم من يكون اطلاعه تاما، وذهنه ثاقبا، وفهمه قويا، ومعرفته بالقرائن الدالة على ذلك متمكنة"[٣٢]. وقال في التفريق بين المعل والشاذ: "وهو على هذا أدق من المعلل بكثير، فلا يتمكن من الحكم به إلا من مارس الفن غاية الممارسة وكان في الذروة العليا من الفهم الثاقب، ورسوخ القدم في الصناعة، ورزقه الله نهاية **الملكة**"[٣٣].

- وقال البقاعي (ت٨٨٥هـ): "إن الإنسان إذا أخذ في طلب علم من العلوم يكون عنه كالأجنبي، فلا تكون له فيه **ملكة** إلا بعد ممارسة كثيرة"[٣٤].

- وقال السخاوي (ت٩٠٢هـ): "والشاذ لم يوقف له على علة، أي: معينة. وهذا يشعر باشتراك هذا مع ذاك في كونه ينقدح في نفس الناقد أنه غلط، وقد تقصر عبارته عن إقامة الحجة على دعواه، وأنه من أغمض الأنواع وأدقها، ولا

---

[٢٨]- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط: ١، سنة: ١٩٧٠، (ص: ٤٤).

[٢٩]- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي، النكت على كتاب ابن الصلاح، تحقيق: ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض، ط: ٤، سنة: ١٩٩٦، (٨٤٧/٢).

[٣٠]- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر، النكت على ابن الصلاح، تحقيق: زين العابدين بلا فريج، أضواء السلف، الرياض، ط: ١، سنة: ٢٠٠٨، (٨٢٥/٣-٨٢٦).

[٣١]- ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، شرح علل الترمذي، تحقيق: همام سعيد، مكتبة المنار، الأردن، ط: ١، سنة: ١٩٨٧، (٦٦٤/٢).

[٣٢]- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي، نزهة النظر في شرح نخبة الفكر، تحقيق: نور الدين عتر، مكتبة البشرى، باكستان، مدار القبس للنشر والتوزيع، الرياض، ط: ١، سنة: ٢٠٢٠، (ص: ٩٨-٩٩).

[٣٣]- الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، تحقيق: صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، سنة: ١٩٩٧، (٣٤١/١).

[٣٤]- البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، النكت الوفية بما في شرح الألفية، تحقيق: ماهر الفحل، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط: ١، سنة: ٢٠٠٧، (٤٠٠/٢).

يقوم به إلا من رزقه الله الفهم الثاقب، والحفظ الواسع، والمعرفة التامة بمراتب الرواة، **والملكة** القوية بالأسانيد والمتون. وهو كذلك، بل الشاذ – كما نُسب لشيخنا – أدق من المعلل بكثير"[٣٥].

* ثانيا: نصوص ورد بها مصطلح الصناعة، أو الصنعة.

- قال الحاكم (ت٤٠٥هـ): "النوع الثاني من معرفة علوم الحديث: العلم بالنازل من الإسناد. ولعل قائلا يقول: النزول ضد العلو، فقد عرف ضده، وليس كذلك، فإن للنزول مراتب لا يعرفها إلا أهل **الصنعة**"[٣٦].

وقال في النوع الثاني من أنواع المنقطع، الذي يَذكر فيه الراوي رجلا دون أن يسميه: "هذا النوع من المنقطع الذي لا يقف عليه إلا الحافظ الفهم المتبحر في **الصنعة**"[٣٧].

- وقال الباجي (ت٤٧٤هـ): "نجد يحيى بن معين يسأل عن رجل روى حديثا فيضعفه، ويسأل عنه في رواية حديث آخر فيوثقه، وإنما ذلك بحسب ما يحتمله حاله من الحديث، ويقبل فيه على انفراده وروايته، فلا يقبل على هذا ولا يفهمه إلا من عرف **الصناعة**، وعلم أسرارها ومقاصدها، وأغراض الأئمة المجرحين والمعدلين، وليس كل أحد من الثقات يحتمل تفرده"[٣٨].

* خلاصات وفوائد:

نقف من خلال هذه النصوص على أهم الأسس التي ترتكز عليها الملكة الحديثية، لنعرج بعدها على وضع تعريف لها، يكون مراعيا لما تم استخلاصه منـها.

أولا: إن الركن الأعظم، والأساس الأكبر الذي تستند إليه الملكة الحديثية، هو الممارسة الطويلة، والمزاولة المستمرة، والقراءة الدائمة في كتب الحديث، والتفتيش عن أحوال الأسانيد، وضم القرائن المعينة على معرفة صحيحها من سقيمها، والتتبع لأحوال نقلتها جرحا وتعديلا. ومن لم يسلك هذا المسلك في تحصيل الحديث النبوي وعلومه، فهو أجنبي عنه.

ثانيا: طول زمن التعليم، وذلك أن الهيئة النفسانية، والملكة القائمة بالنفس، لا يحصلها الطالب في وقت وجيز، ولا يدركها بقصر الزمن، ولا يقوى على ميز حديث رسول الله من غيره، إلا إذا طالت صحبته لدواوين السنة، وامتد اختلاطه بالكتب المعينة على معرفة مقبولها من مردودها؛ ككتب العلل، والجرح والتعديل، والتخريج. فلا يزال هذا الحال من المخالطة حتى يتلبس قلبه بالحديث النبوي، ويصير جزءا منه، وذلك هو مقتضى قولهم: من طالت ممارسته لدواوين السنة حصلت له لكثرة مزاولة ألفاظ الرسول هيئة نفسانية.

ثالثا: الملكة الحديثية مزيج مشترك بين الصفات النفسية والقدرات العقلية، فالصفات النفسية يراد بها الشروط السيكولوجية التي تعد ركنا في تكوين الملكة، فيندرج تحت هذا الأصل: الحب، والرغبة، والشهوة، وطول زمن التعلم، والتحفيز، والتكرار والتدرج...إلخ، أما القدرات العقلية فهي نسيج مشترك بين المهارات والمعارف، تؤهل الطالب إلى حل مشكلات في وضعيات جديدة، فعندما نتحدث عن التصرف فإننا نتحدث بالتبع عن قدرة الطالب على التطبيق والممارسة، وعلى تنزيل المعارف النظرية وتوظيفها في سياقات ووضعيات مختلفة. لذلك لا يمكن الحديث عن قدرة الطالب على التصرف في العلم، إلا إذا استطاع أن يوظف مختلف مكتسباته المعرفية والمنهجية في حل إشكالات لم يسبق له أن تعرف عليها.

---

[٣٥]- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق: عبد الكريم الخضير ومحمد آل فهيد، مكتبة المنهاج، الرياض، ط: ٤، سنة: ٢٠١٦، (٨/٢).

[٣٦]- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، تحقيق: أحمد فارس السلوم، مكتبة المعارف، الرياض، ط: ٢، سنة: ٢٠٠٧، (ص: ١٣٢).

[٣٧]- نفس المصدر، (ص: ١٣٢).

[٣٨]- الزركشي، النكت على ابن الصلاح، (١٠٤١/٣).

وهذه المعاني هي التي يشير إليها قول علي القاري (ت١٠١٤هـ): "الملكة: مهارة علمية وحذاقة قوية يميزون بها ذلك"[٣٩]، فالمهارة إذن متضمنة للقدرة. وقوله: وحذاقة، يتضمن الجانب المنهجي في الملكة؛ لأن الحذق يعني التمهر[٤٠]، ولا يحصل التمهر والحذق إلا بزاد معرفي ومنهجي.

رابعا: جمع ابن حجر في تعليقه على كلام الحاكم بين الصناعة والملكة، إلا أن قوله: "ورزقه الله نهاية الملكة"، إشارة عميقة إلى أن الملكة أرفع منزلة، وأعمق رسوخا من الصناعة؛ لأن نهاية الملكة، هي ذروة سنام التحصيل، وهي الثمرة، إلا أن دركها متوقف على رسوخ القدم في الصناعة. فالطالب يبدأ تحصيله لعلوم الحديث صناعة، ثم يؤول حاله بعد الممارسة وكثرة الارتياض إلى الملكة، وبمعنى أدق، فإنه يبدأ بالقضايا والمسائل العلمية النظرية صناعة، ثم لا يزال متدرجا في التحصيل، مكثرا من التطبيق والممارسة، حتى تصير له القدرة على التصرف في القضايا والمسائل النظرية، والقدرة على التصرف مؤشر دال على تحقق الملكة.

ويظهر من خلال كلام ابن حجر أيضا أن التفاوت بين الصناعة والملكة، تفاوت في الدرجة، وليس في الحقيقة والماهية؛ فالصناعة سابقة في الوجود على الملكة؛ لكن تحصيل الملكة متوقف على ضرورة البداءة بالجانب الصناعي في العلم.

وعليه فالصناعة: هي العلم بالقواعد والمسائل العلمية النظرية، وأما الملكة: فهي القدرة على التصرف في القواعد والمسائل، من خلال حسن تنزيلها وتطبيقها.

إن الخلاصة التي نخرج بها من إيراد النصوص التي ورد فيها مصطلح الملكة أو مصطلح الصناعة، وهي أن الملكة لا تحصل إلا من خلال الجمع بين مستويين، وهما:

- أولا: مستوى التصور والاكتساب؛ بمعنى أن الطالب لا يقوى على التصرف في العلم، وتنزيل مسائله، وتطبيق قواعده، إلا إذا كان محصلا للضروري من قضاياه النظرية. وهذا المستوى يمكن التعبير عنه بالمستوى الصناعي.

- ثانيا: مستوى التصرف والتطبيق، وهذا المستوى هو روح الملكة وأساسها الذي تنخرم ماهيتها بانخرامه؛ لأنه ينقل الطالب من المتلقي المستهلك، إلى المشارك الفعال المبدع، فتنمو قدراته، وتنضج مهاراته، حتى يصير مقتدرا على خوض غمرة البحث باستقلالية وتفرد. فالملكة لا تكتسب بالمسائل المعرفية النظرية فقط، بل تكتسب من خلال ممارسة مسائل العلم، والارتياض بها، والتدرب على تحصيلها، وفهمها، وتطبيقها.

من خلال كل ما تقدم أجتهد في صوغ تعريف للملكة الحديثية باعتبارهما مركبا وصفيا: فأقول: **"الملكة الحديثية: هي مجموع الصفات النفسية والقدرات العقلية، التي تنقل الحديثي من التصور والاكتساب النظري إلى التوظيف والتصرف العملي"**.

وأقصد بالصفات النفسية كل ما يتعلق بالجانب السيكولوجي؛ كالرغبة، والشهوة...إلخ.

وأما القدرات العقلية فأقصد بها كل ما يتعلق بالجانب المعرفي والمهاري؛ كالحفظ، والفهم، والمعرفة، والتطبيق، والممارسة، والتكرار، والتدرج...إلخ.

وأما التصور النظري فالمراد به الجانب الصناعي؛ أي جانب الاكتساب النظري. فكل ما يتعلق بالجانب العلمي في بعده النظري يدخل في ملكة التصور.

وأما الحديثي فهو المبتدئ في طلب الحديث[٤١]، ولا شك أن ملكة التصور إنما تناط بالمبتدئ في الصناعة الحديثية.

---

[٣٩]- علي القاري، نور الدين أبو الحسن علي بن سلطان محمد، شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، تحقيق: محمد نظار هيثم، وهيثم نزار تميم، دار الأرقم، بيروت، (د،ت،ط)، (ص: ٤٣٦).

[٤٠]- يقول ابن فارس (ت٣٩٥هـ): "الرجل الحاذق في صناعته، وهو الماهر، وذلك أنه يحذق الأمر يقطعه لا يدع فيه متعلقا". ابن فارس، مقاييس اللغة، (٣٨/٢).

[٤١]- قال ابن حجر (ت٨٥٢هـ): "الحديثي: المبتدي في طلب الحديث". ابن حجر، النكت على كتاب ابن الصلاح، (٥٧٢/٢).

وأما التصرف العملي فأقصد به القدرة على تنـزيل قواعد العلم ومسائله النظرية، والقدرة أيضا على تطبيقها وتوظيفها في مباشرة العملية النقدية، وممارسة التصحيح والتضعيف، فيدخل في هذا إذن القدرة على التخريج، والكشف عن العلل، ومعرفة أحوال ومراتب الرواة جرحا وتعديلا...إلخ. ولا شك أن القدرة على التصرف تقتضي التعرف على المسالك التي ترقي الطالب إلى هذا المستوى.

الخاتمة:

إن الحديث عن التوظيف البيداغوجي لنظرية الملكات، يحتاج تضافر جهود جماعية، وتراكما على مستوى البحوث المؤصلة لها في التـراث، والمنفتحة بوظيفية على التـربية المعاصرة، حتى لا يوقعنا ذلك في الإسقاط، الذي يعد عيبا مشينا في قراءة التـراث، لكن القارئ للتـراث التـربوي عموما، ولدى المحدثيـن خصوصا يجد نصوصا نفسية، وشواهد أثيـرة، تبيـن أن الحديث عن نظرية التعلم وفق الملكات أمر ممكن وحاصل.

خلاصات ونتائج البحث:

- للملكة لغة معنيان: الأول: إحكام الشيء وإجادته، وإتقانه، إلى أن تصيـر لصاحبه قوة التصرف فيه. والثاني: حوز الشيء، وضمه، والاستبداد به حتى يصيـر خالصا لصاحبه.

- الملكة في الاصطلاح العام: صفة راسخة في النفس تحصل عن استعمال ذلك الفعل، وتكرره مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة.

- الصناعة علم بالقوانيـن النظرية التي يستطيع الطالب تحصيلها من غيـر تفاعل نفسي، أو ارتباط سيكولوجي. وأما الملكة: فهي القدرة على التصرف في القواعد والمسائل.

- إن الركن الأكبـر الذي تستند إليه الملكة الحديثية هو الممارسة الطويلة لمسائل العلم.

- لا تحصل الملكة الحديثية إلا بطول زمن التعليم والتعلم.

- الملكة الحديثية مزيج مشتـرك بين الصفات النفسية والقدرات العقلية.

- الملكة لا تحصل إلا من خلال الجمع بين مستويين في الطلب والتحصيل؛ الأول: مستوى التصور والاكتساب، والثاني: مستوى التصرف والتطبيق.

المصادر والمراجع:

* الأزهري، محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التـراث العربي، بيـروت، ط١، ٢٠٠١.

* البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، النكت الوفية بما في شرح الألفية، تحقيق: ماهر الفحل، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط١، ٢٠٠٧.

* الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ت، ط).

* الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيـروت، ط٤، ١٩٨٧.

* الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، تحقيق: أحمد فارس السلوم، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ٢٠٠٧.

* ابن حجر، أحمد بن علي، النكت على كتاب ابن الصلاح، تحقيق: ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض، ط٤، ١٩٩٦.

* ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي، نزهة النظر في شرح نخبة الفكر، تحقيق: نور الدين عتر، مكتبة البشرى، باكستان، مدار القبس للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠٢٠.

* حليم، سعيد بن محمد، المرجع في كيفية التدريس، مطبعة آنفو-برانت، فاس، ط١، ٢٠٠٩.

* ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، اعتنى به: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٢.

* الدريج، محمد، التدريس بالملكات نحو تأسيس نموذج تربوي أصيل بالمغرب، مجلة كلية علوم التربية، العدد: ٥، ٢٠١٣.

* ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

*ابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي، الاقتراح في بيان الاصطلاح، تحقيق: قحطان الدوري، دار العلوم، عمان، ط١، ٢٠٠٧.

* الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٩.

* الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط١، ١٩٩٩.

* ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، شرح علل الترمذي، تحقيق: همام سعيد، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٩٨٧.

* الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر، النكت على ابن الصلاح، تحقيق: زين العابدين بلا فريج، أضواء السلف، الرياض، ط١، ٢٠٠٨.

* السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق: عبد الكريم الخضير ومحمد آل فهيد، مكتبة المنهاج، الرياض، ط٤، ٢٠١٦.

* السريري، أبو الطيب مولود، تجديد علم أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١٦.

* الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، تحقيق: صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

* ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤.

* علي القاري، نور الدين أبو الحسن علي بن سلطان محمد، شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، تحقيق: محمد نظار هيثم، وهيثم نزار تميم، دار الأرقم، بيروت، (د،ت،ط).

* ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.

* الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٢.

* ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٩٧٠.

* مركز ابن البناء المراكشي للبحوث والدراسات، افتتاحية مجلة الدليل، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، العدد: ١، ١٤٣٤ه.

* ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٣.

* النقاري، حمو، معجم مفاهيم علم الكلام المنهجية، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط١، ٢٠١٦.